الروافدو الجذور الفلسفية المؤسسة للفكر التداولي المعاصر

The philosophical roots of pragmatics

د.واضح أحمد [*] **د. مسلم خيرة**[†]

قسم اللغة العربية و آدابها قسم اللغة العربية و آدابها
جامعة سعيدة. الجزائر جامعة سعيدة. الجزائر

تاريخ الإرسال: 2019/02/23تاريخ القبول: 2019/04/12تاريخ النشر: 2019/05/12

الملخص :

لعل الحديث عن الإرهاصات الأولى لظهور الفكر التداولي المعاصر من الأمور الصعبة المستصعبة ، و مرد ذلك أن هذا الدرس مدين لعدد من التيارات و النزعات الفلسفية المختلفة ، حيث كان لهذه الأخيرة باع طويل لا يستهان به في مسألة تحريك عجلة نقل الدراسات الفلسفية التقليدية من طابعها التقليدي (السكوني و المعياري) إلى طابع آخر قوامه الحركية ، التواصل والاستعمال . ومن بين أهم هذه الروافد الفلسفية : فلسفة اللغة ، إسهامات شارل موريس وإسهامات شارل ساندرز بيرس ، وفي هذه السطور المعرفية تفصيل لذلك .و قد اعتمدنا في نسج خيوط هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي .

الكلمات المفتاحية :التواصل ؛ فلسفة اللغة ،؛ التداولية ؛ ألعاب اللغة ؛ فتغنشتاين؛شارل سندرز بيرس ؛الاستعمال .

[*] *Email :ouadah.a31@gmail.com*

[†] *Email : Kheiracritique31@gmail.com*

Abstract :

Maybe talk about the first appearance of deliberative thought marks contemporary difficult the find difficult,And due to this lesson ,Indebted to a number of currents.And various philosophical trends, Where the latter quite long No mean feat The question of moving the traditional philosophical studies transfer wheel of traditional character (static &standard) To The nature of most motor strength, communicate and use, Among the most important of these philosophical reaches philosophy of language, the contributions of Charles Morris and the contributions of Charles Sanders Pierce, In these lines of knowledge.And have adopted in weaving this search on descriptive analytical.

Keywords : connect,; philosophy of language; deliberative;language games**;** Wittgenstein**;** Charles Sanders Pierce; use.

1-إسهامات فلسفة اللغة:

قبل الشروع في معالجة مسألة كيفية تأثير هذه النزعة الفلسفية في ظهور النظريّة التداوليّة؛ لابدّ أن نرصد بنوع من الإيجاز ماهية إتجاه التحليل الفلسفي وخلفياته وقضاياه الكبرى حيث استطاع هذا الأخير أن يجد لنفسه مكاناً يؤهّله لوضع اللّبنة الأولى للدّرس التدّاولي المعاصر وأجهزته المفاهيميّة ،بحكم أن فلسفة اللغة هي إستمرارية فكرية لمنهج التحليل الفلسفي.

لعل منهج التحليل الفلسفي في أجلى معالمه هو تقسيم المركبات إلى جزئيات بسيطة، ويتحقق ذلك عن طريق حذف كلّ ماهو مركب رمزي [1] في أي صياغة لغوية للتمكن من الوصول إلى الدقة في تحديد الأجزاء والعلاقات الكائنة في هذه الصياغات[(2)]، إنّ هذا المقتضى المعرفي المنهجي يؤدّي إلى تفادي التّركيبات (ذات المظهر الرمزي الغامض)، محققا التوصل إلى حدود تعابير أخرى أكثر وضوحاً تضعنا بدورها أمام عناصر جديدة ذات طبيعة معرفيّة مباشرة.

ومن هذا المنطلق يمكن القول إنّ مجيء هذا المنهج الفلسفي كان بمثابة ثورة فلسفية أخذت على أعناقها توجيه الفكر الإنجليزي إلى بوتقته الأصليّة المتمثلة في الاتجاه التجريبي[(3)] الذي يقوم على التفاضل مع القضايا والإشكاليات

و يتحقق هذا في إطار تجريب كلّ ما هو جزئي مباشر. ولعل خير دليل على ذلك المقال الذي ثار فيه على الهيجلية والمثالية الجديدة [4] التّي كانت سائدة آنذاك والتّي كانت ترى أن العالم كلّ فريد لا ينقسم إلى أجزاء في حقيقته، وأيّ محاولة لتجزيئه تشويه زائف ولا يوجد حقا سوى الواقع ككل وهو ما يسمى مطلق [5].

و الجدير بالذكر في هذا المقام أن هذه النزعة الفلسفية ، إنما قامن على مبدأ عام قوامه أن اللغة هي السبيل الوحيد لفهم علاقاتنا بالعالم و البشر ، إذ " إن جميع الحالات الموضوعية لشؤوننا ، و جميع العلاقات الذاتية مع الأفراد و المجتمع ، و مع تاريخ الجنس البشري ، قائم على أساس لغوي إن أراد أن يكون له معنى . فالطابع اللغوي مرتبط دائما و أبدا بالفهم ، مادام المعنى الذي تنقله لنا اللغة لا يصير ملموسا إلا على هذا النحو . فالوجود الذي يمكن أن يكون مفهوما أولا هو اللغة "[6] .

ولعلّ من أهم الرّواد الفلاسفة الذين ساهموا في خلق هذه الثورة الفلسفيّة المناهضة للمثالية، برتراندراسل B. Russell[7] وجورج إدوارمور G.E Moore[8] الّذي يعدّ حسب تشارلزوت Charleswotth مؤسّس حركة التحليل الفلسفي سنة 1903 -في مقالة المذكور آنفا- والذي ثار فيه على المثاليّة، ولودفيج فتغنشتاين[9] L. Wittgenteïn؛ وهذا الأخير هو الذي كان له الدور الفعّال في انبثاق الآليّة المهمّة في النظريّة التداولية وهي ظاهرة الأفعال الكلاميّة بحكم أنّ هذه النظرية. كما يقول فان ديك –VAN DJICK "تكاد تستلهم وجودها من المنطق، إذ تستنبط أساساً من فلسفة اللّغة، ونظرية أفعال الكلام بوجه خاص" [10]. وهو ما سوف نبينه بشيء من التفصيل لاحقا.

أمّا بالنسبة لأهم المرتكزات والدعائم التّي اعتمدتها حركة التّحليل وهي تتعامل مع الظواهر اللغويّة والقضايا الفلسفية، فيمكن إجمالها حسب شوليموفسكي Sholimowiski في ما يأتي:

أ-الاعتماد على دور اللّغة، واعتبارها دعامة أساسيّة في التفكير الفلسفي؛

ب-تفتيت المشكلات الفلسفيّة إلى أجزاء صغيرة لمعالجتها جزء / جزءا؛

ج-خاصيتها المعرفية؛

د-اعتمادها على مبدأ "البين ذاتية Inter Subjectivité أي المعالجة المشتركة بين الذوات في عمليّة التحليل.

وعليه يمكننا القول أن الكثير من الفلسفات والأنساق الفلسفية تنهض على هذه المبادئ، ولكن المظهر الكفيل بزرع الحد الفارق بينها وبين الأنواع الفلسفيّة الأخرى هو اجتماعها معاً وفي آن واحد داخل إطار الفلسفة التحليلية[11].

اتبع الفيلسوف النّمساوي لودفيج فتغنشتاين مقومات تيار الفلسفة التحليلية، وظهر ذلك جليّا في محاولته، مع زميله "راسل" إقامة لغة مثالية [12] لحل القضايا الفلسفية، وكان ذلك يصبّ في إطار نظريّة سمياها "النظرية الذرية المنطقية[13]، ثم تراجع كلّ منهما عن النظريّة والمحاولة باعتبار أن بالنظرية عيوبا، وإنّ إقامة اللغة المثالية مشروع يستحيل تنفيذه، لذلك اتجهت جهوده إلى انتقاد مبادئ ومرتكزات الوضعية المنطقية، وأسس اتجاها جديداً أسمياه "فلسفة اللغة العادية [14]، وقوامها الحديث عن طبيعة اللغة وطبيعة المعنى في كلام الإنسان العادي، وقد ظهر تراجعه جليا عن مشروع اللغة المثالية والنظريّة المنطقية في كتابه الأبحاث الفلسفيّة Philosophical Investigation. الذي لم ير النّور إلاّ بعد وفاته[15].

ثم انقسمت الفلسفة التحليليّة إلى ثلاثة فروع أو اتجاهات كبرى هي:

-الوضعانية المنطقية positivisme Logic بزعامة رودولف كارناب.

-الظاهراتية اللغويّة Phénoménologie du language، بزعامة إدموند هوسرل.

EISSN 2600-660X
الإيداع القانوني 1157 -2014 ISSN 2352-9776

-فلسفة اللّغة العادية Philosophie du Langage ordinaire، بزعامة فتغنشتاين[16].

وهذا الاتجاه الأخير هو الذي مثّل الإطار الفكري الذي انبثقت منه الفلسفة الأوستينية في اللّغة، حيث انبعثت منها ظاهرة الأفعال الكلاميّة[17]، والتي تعتبر من أهم محاور الدرس التداولي المعاصر، حيث أنّ هذه الظاهرة هي استمراريّة وتطوير لنظرية الألعاب اللّغوية التي أسّس لها الفيلسوف فتغنشتاين[18]، وهكذا استطاع هذا الأخير أن يحتلّ موقعاً مهما بين الفلاسفة الأوائل الذين كان لهم باع طويل في تطعيم الظاهرة اللغوية ودراستها بالطابع الاستعمالي، وقد ظهر ذلك من خلال أعماله الأولى في المنطق والفلسفة والتي انتهت في 1918 حيث ركّز على الوظيفة التمثيلية للغة التي تقوم على الاعتداد بتقييم الملفوظات من حيث صحتها وخطئها، كما ظهر أكثر تجليا في مؤلفاته اللاحقة التي راح يصوّر فيها تصورات جديدة في تلك المرحلة بحكم أنه كان ينفي القطيعة والانفصال بين اللغة والفكر، بل أكثر من هذا حيث دأب ينفي على تنفيذ بعض الادعاءات الفلسفية التي ألصقت بالفرد لغة خاصّة وأثْبَتَ أن الفرد يتبع في تراكيبه للغة عموم مجتمعه، مستلزما على إثر ذلك بضرورة استبدال معنى التواصليّة في اللّغة، بالتعبيريّة على أساس أن الوظيفة الأساسيّة التي تسند إلى اللغة ليست تمثيلا للعالم وتفسيراً له بقدر ماهي آليّة للتأثير في الآخرين في إطار عمليّة التواصل[19].

وهنا ظهر اهتمامه الكبير بفكرة الاستعمال التي كانتبمثابة قطب رحى الفلسفة المعاصرة، وذلك من الاهتمام بالنموذج البنيوي التركيبي إلى النموذج التداولي الاستعمالي. يقول فتغنشتاني متحدثا عن مهام الفلسفة: "...أي أنها في معركة ضدّ البلبلة التي تحدث في عقولها نتيجة استخدام اللّغة، فعقل الإنسان قد لا ينبه إلى استخدام اللغة نتيجة لافتنانه بها، الأمر الذي قد يؤدي إلى قيام المشكلات الفلسفية"[20]، وأفضل دليل اعتمد عليه في تثبيت دعائم هذا التصوّر نظريته المشهورة" ألعاب اللغة "التي طرحها في طيّات كتابه" بحث في الفلسفة والمنطق 1921" الذي أفصح فيه عن "مفهوم التّلاعب بالكلام، وأصبح فيما بعد

أحد دعائم ظهور التداولية؛ ذلك أنه مرتبط بالمعنى الفعلي الذي منحه للملفوظات؛ فهو قائم، إذا على ممارسة التّأويل من خلال الأداء الفعلي للّغة" [21].

ويمكن أن نجمل نظريّة ألعاب اللّغة أنّ الكلمة آلة إنتاجيّة لعدّة معان، وتأتي هذه الإنتاجية –غير السكونية- وفقا لاستعمالاتنا المختلفة لها في الحياة اليوميّة باعتبار السياق الذي ترد فيه على أساس أنّه من المهم "الأخذ بعين الاعتبار سياق الملفوظية إذا ارتبط الأمر بعمليّة فهم دلالة التعبير اللغوي أو شرحه"[22]، وبالتالي قضى فتغنشتاين على تلك النزعة التصويرية الفلسفية التي كانت سائدة والتي كانت تعتبر أنّ اللغة تخضع لحسابات منطقية دقيقة تحكم لكلّ كلمة في اللّغة معنى واحداً ومحدّدًا [23]، وينجرّ عن هذا الطرح أنّ أيّة محاولة لفهم دلالة لفظ معيّن مرهون بالإدراك الشامل والإحاطة التّامة باستعمالات الفعليّة على الواقع، وكيفيات صياغاته في سياقات متعدّدة.

في ظل هذا المعطى التصوري، يمكن القول أن فتغنشتاين يرى أن الأفعال التي نتلفظها، ترتبط ارتباطا وثيقا بأشكال الحياة والممارسات التّي نحياها، إذ لا مجال من وضع الحدود والحوافز بين النشاط اللغوي والحياة اليومية الاجتماعيّة، وفي هذا الصدّد بقول: "يمكننا اعتبار اللّغة مدينة قديمة متاهة من الأزقة والساحات والمنازل القديمة والجديدة التّي بها إضافات من أحقاب مختلفة، وكلّ هذا محاط بسلسلة من الضواحي ذوات أزقة مستوية ومنتظمة بها منازل موحدة الشكل" [24] ومردّ هذه النظرية يرجع إلى تلك المساحة التي تسمح للمتكلمين بالتّلاعب بخطاباتهم في إطار اختيارات مباحة داخل طيّات الخطاب باعتبار "مجموعة منظّمة من وجهات النظر والممارسات والمصالح" [25].

لقد تخلّى هذا الفيلسوف اللغوي عن موقفه الأوّل الذي كان يعتبر فيه أنّ وظيفة اللّغة هي وظيفة "الرسم" أو "الصورة" أي رسم وتصوير العالم الخارجي (في كتابه الرّسالة المنطقية)، حيث كان يقول: "إنّ القضية رسم للوجود الخارجي، على النحو الذي نعتقد أنّه عليه" [26] إلى رؤية مغايرة مفادها أنّ وظيفة اللغة هي الاستعمال والتفاهم مع الآخرين والتأثير عليهم: "فلا نقول: بدون اللّغة لا يمكننا الاتصال الواحد منّا بالآخر، وإنّما نقول بالتأكيد: بدون اللّغة لا يمكننا

التأثير في الآخرين، على هذا النحو وذاك، ولا بناء للطرق وصناعة الآلات وغير ذلك، كما نقول كذلك: بدون استخدام الكلام والكتابة لن يستطيع الناس الاتصال ببعضهم" [27] ولا ضير أن هذا التفاعل التواصلي/ التأثيري لا ينتج إلاّ ضمن سياقات معيّنة، وهكذا بات من الضروري تبني فرضيّة جوهريّة قامت عليها النظرية التداولية المعاصرة وهي إلزاميّة عدم الفصل بين اللّغة الطبيعيّة ووظيفتها التواصليّة في إطار الاهتمام بظروف الاستعمال باعتبارها المسؤولة على تحديد الإستراتيجية التشكيلية لبنيتها.

لقد كان لهذا الطرح الفتغنشتايني أثراً كبيراً في سياق الفلسفة التحليليّة وتياراتها الجديدة وخاصّة ما أصبح يعرف في تاريخ الفلسفة المعاصرة بمدرسة "كمبردج" Cambridge ومدرسة أكسفورد Oxford أو مدرسة أفعال الكلام[28] ، وقد مثلتها بعمق تنظيرات كل من جون أوستين و جون سور المتعلقة بنظرية الأفعال الكلامية و التي تعتبر بحق أهم نظرية في الدرس التداولي المعاصر و أجهزته المفاهيمية

2-إسهامات شارل موريس:

تصبّ جهود شارل موريس Charles Moris في إطار البحوث الفلسفية التي راحت تدرس الدليل الذي حظي بمقاربات كثيفة من طرف الباحثين اللغويين ذوي النزعة الفلسفية وبحوث علم النفس السّلوكي التي هيمنت على اللّغة في وقت ما، باعتبار أنّ هذه البحوث الأخيرة تنظر إلى اللغة بوصفها نظاما من السلوك يهيئ المتلقي إلى ردّ فعل ما[29].

إن المفهوم الذي أوكل للتداولية في العصر الحديث والمعاصر قد صدر من شارل موريس سنة 1938 عندما استخدمه للدلالة على فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات أو السِّيميائية Semiotics[30] وهو في إطار التمييز بين مجالات ثلاثة في دراسة اللّغة، وهذه الفروع هي[31]:

أ-علم التركيب Syntactic: والذي "يُعنى بدراسة العلاقات الكليّة بين العلامات بعضها مع بعض"، أي أنّ الأمر هنا يتعلق بمجموعة من القوانين التي تضبط عمليّة الصحّة النحوية للكلام، من أجل أن يكون مقبولاً لدى مستخدمي اللّغة في التمييز، بصيغة أدق: يتجه هذا العلم إلى دراسة اللغة دراسة نسقية بالإشراف على مجموع العلائق، التّي يمكن أن تحدثها الكلمة مع نُظرائها في التركيب، بالإضافة إل تحديد الضوابط التي تسهر على سلامة تحويل الجملة أو العبارة التّي نجدها مطروحة في أسوار المنصوص والخطابات.

ووفق هذا التصور الذي ينبني عليه هذا المجال /العلم، فإنّ سياق الحديث الكلامي ومصاحباته من ظروف خارجة عن البنية لا تمثل أي موضع ولا تؤخذ في الاعتبار سواءاً تعلّق الأمر بالعمليّة الإنتاجيّة للّغة، والتّي ترتبط بمنتج الكلام (الباث) أم بالعمليّة التأويلية، التفسيرية الباحثة عن المعنى والمرتبطة بالمتلقي، بخلاف الفرعية الموالين كما سنرى.

ب-علم الدّلالة: ويقوم مجال هذا العلم على "دراسة علاقة العلامات بالأشياء التي تدلّ عليها أو تحليل إليها" [(32)]، فهو في نظره مجال يلقي انشغالاته ومقارباته في فهم ووصف مجموع العلائق بين المعاني والأشياء التّي تعينها في إطار سياق اللّغة، بصيغة أدق: هو ذلك العلم الذي يوجه اهتمامه إلى دراسة علاقة الكلمات بالعالم الخارجي الواقعي، إلاّ أن المعنى المتوصّل إليه هذا المستوى حسب هنرش بليت؛ قد لا يعكس المعنى الحقيقي المراد من الصّياغات اللغوية، خاصّة إذا أدخلنا في الحسبان مسألة انقطاع الإحالة، وغياب المراجع، وحضور المجاز بمختلف صوره وأشكاله، في الخطاب الأدبي على وجه الخصوص[(33)].

ج-التداوليّة: وينهض مجال هذا العلم حسبه على "دراسة علاقة العلامات بمفسّريها"[(34)] أو هي جزء من السّيميائية، يعالج العلاقة بين العلامات بمستخدميها[(35)]، بمعنى أنها تركز على الإطار التواصلي في محاولتها لتحديد العلاقة القائمة بين الإشارة ومن يستخدمها في الاتصال اليومي العادي. ووفق هذا الطرح؛ لا يمكن اعتبار أي جملة أو عبارة بنية شكليّة معزولة عن سياقها (التواصلي/التداولي). وبتعبير آخر هو مجال يُعنى بدراسة العلائق الحاصلة بين

اللّغة، وبين الناطقين بها، والمؤولين لها [36]. وانطلاقا من هذا التّحديد الّذي أوكله موريس للتداولية بجعلها أحد الأسس القارّة التّي ينبني عليها علم السيميائية يمكن الخروج بنتيجة مفادها أن العلامة حَسْبَ موريس "تتجاوز مجالها اللّسان إلى المجال السيميائي، ومجالها الإنساني إلى مجالات أخرى: المجال الحيواني، الآلي، الطبيعي"[37].

لقد جعلت هذه النتيجة الفكريّة التّي انبثقت من إطار تقسيم موريس للسّيميائية وجعله التّداولية فرعاً منها؛ إلى إعراض بعض الباحثين اللغويين عن هذا الطّرح، كما هو الحال للباحث الجزائري: "نواري سعودي أبو زيد"، الذي عَزف عن تصنيف موريس بحجّة أنّ هذا التّصور قد يؤدّي إلى إخراج الدراسة التداوليّة عن سبيلها وجديتها وجدواها في آن، كما يعتبر أن إدراج التداولية ضمن النظرية السّيميائية قد يؤدّي بالباحثين العرب إلى اعتبار التداوليّة مجالا يقع تحت لواء علم العلامات أو السّيمياء [38] أي الإنتقال إلى فضاء أرحب و أوسع يصعب تحديده

إنّ الأمر الجوهري في تدعيم "فكرة التداولية وزرع خصوصياتها عند موريس" هو ربطه المجال التداولي بمقاربة العلائق الحاصلة بين العلامات باستعمالاتها، ومقاماتها وأطرافها التداوليّة، وينتج عن هذا الربط ضرورة الأخذ بالمعطيات المصاحبة للحدث الكلامي، لأن هذه العلامات لا تأخذ معناها الحقيقي إلاّ إذا تدعّمت بالبعد الاستعمالي الذي يخضع للحيثيات التيتحيط بالعمليّة التواصليّة التفاعليّة، وتتبيّن مصداقية هذه الفكرة عند الباث وهو يحاول تقفي استراتيجية خطابيةتلائم الحيثيات و الظروف المحيطة بعمليّة تلقي المُخاطَب (بضمّ الميم)، كما تتبين سلامة هذا المقتضى التصوري عندما يلجأ المُخاطَب إلى استثمار كلّ العناصر التّي تحفُّ بالإطار التّواصلي، رغبةً منه في الوصول إلى الفهم والتأويل الصّحيح للتعبيرات المختلفة.

وعليه ، يمكن اعتبار إسهامات موريس بمثابة بذرة جوهريّة مهّدت السّبيل لظهور النّظرية التداوليّة المعاصرة من خلال ترسيخ بعض المفاهيم الجديدة في الدراسات اللغوية كالاستعمال والمستخدمين والمؤولين والإطار

التواصلي والسياق الاجتماعي، وكلّ ذلك أهّله (موريس) للخلوص "إلى تعريف تداولي للّغة، بأنّها نشاط تواصلي أساساً، ذا طبيعة اجتماعيّة" [39] وفي هذا دلالة صريحة و واضحة على أن الفلسفة الموريسية في هذا المضمار إنما قامت على أبعاد إستعمالية ساهمت بتحريك وخلق الأفق التواصلي (الوظيفي) الذي نراه يشكل بحق نواة الفكر التداولي المعاصر.

3-إسهامات تشارلس ساندرز بيرس:

تعتبر السيمياء عند بيرس ذات طابعً شمولي، بحكم أنه لا يرى أنه بالإمكان دراسة أي علم إلا في إطارها . حيث يقول "لم يكن بوسعي أبداً دراسة أي شيء كالرياضيات، الأخلاق والميتافيزيقا، اقتصاد...) إلاّ عن طريق الدّراسة السيميائية"[40] ووفق هذا التأسيس فإنّ السيمياء حسب بيرس تمثل منطقا شاملاً عامّا يستوعب كل القضايا والظواهر والاختصاصات العلميّة. كما يسعى في الوقت نفسه إلى إقامة قواعد تفيد التمييز السليم بين كل ماهو صحيح وماهو خاطئ، "إن المنطق بمعناه العام هو علم الفكر الذي تجسده العلامات، إنه بصيغة أدق السيمياء العامة[41]أي أنه يساوي بين المنطق و السيمياء.

وقد ظهرت النزعة التداولية في أعماله مع ظهور مقاله "كيف نجعل أفكارنا واضحة عام 1978، وقد انطلق من سؤال جوهري يقيم عليه دعائمه مفاده: متى يكون للفكرة معنى، وعلى إثر هذا المعطى دأب على دراسة الدليل وأثبت إدراكه بواسطة التفاعل الذي يحدث بين الذوات والنشاط الاجتماعي "إنّ الواقع المدلول عليه يفترض تجربة إنسانية مبنية لا على ماهو فردي بل على ماهو اجتماعي"[42]. ومن هنا بدأت أفكاره المتجهة للعلامات تأخذ طابعا منفصلاً في مجالين أساسيين لا ثالث لهما وهما التّجربة والمجتمع.

إنّ أي نظرة تفحصية حصيفة لهذه الفرضية العلميّة التّي تبناها بيرس تكشف بما لا يدع مجالاً للشك. على بوادر أفق إنتقاليأخذ بيد حياة العلامات إلى مجال يضع نصب أعينه تلك الممارسات والأنشطة اللغويّة بما تحمله من معانٍ ودلالات إلى منهج علمي حقيقي قوامه التجربة التّي تأخذ جوهرها من

EISSN 2600-660X
الإيداع القانوني 1157 -2014 ISSN 2352-9776

الممارسة اللّسانية المحتكة بالواقع الخارجي وما يحمله من تمفصلات سياقية ديناميكية متحركة وهذا هو سرّ ومردّ قناعته بأن الكيفيّة المناسبة والفعالة لجعل أفكارنا أكثر وضوحاً متعلقة بتنفيذها على الواقع وقياس النتائج المترتبة عنها أي النزوع إلى ما هو منفعي بالدرجة الأولى (وهو ما مثل أحد الركائز التي تتبناها التداولية).

وفي هذاالإطار المعنى بدراساته المتعلقة بالإشارة؛ بحث عن الطرق التي يتم بواسطتها التواصل الفعّال المنظم بين بني البشر لينكشف له في النهاية أنّ التداولية فرعٌ مهم من السيميائيات وذلك فيما كتبه وعبّر عنه في تلخيصه لإطارها العام، وذلك أنّ اللّسانيات المتداولة تفترض كلاّ من الدّراسة التركيبية والدلاليّة[43] وانطلاقا من هذا التخرّيج فإنّ التداولية حسب بيرس هي أداة مهمّة يمكن من خلالها نقل الواقع، كما يمكن اعتبارها وسيلة من وسائل المعرفة والاتصال، ومنهج لجميع ميادين المعرفة، ويظهر ذلك جليّا في إطار إرجاعه تحديد العلامة اللّسانية بتحديدها التداولي الاستعمالي في تنسيق مع علامات أخرى من طرف أفراد جماعة معيّنة[44].

وعليه يمكن فهم أ. ماس V. Masse وفندرليش D. Venderlich في كتابهما الموسوم بـ Pragmatics and sprachlichers فهمًا لو سطحيًّا حين أرجعا البدايات والجذور الفعليّة للفكر والدّرس التداولي المعاصر إلى أربعة أصول أساسيّة كان من بينها الدّرائعية الأمريكية Pragmatisme[45] التي أسست على يد "شارلس سندرز بيرس" في سنة 1905 والتي أدت وبطريقة مباشرة إلى تحطيم مقولات الفلسفة المثالية والعقلانية التي دأبت على التنظير لأنّ هذا النّوع من التصوّر يُفضي على تعدديّة العالم نظاماً واحداً[46].

خاتمة

لقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج المعرفية كان من أهمها :

1. إن الدرس التداولي المعاصر مدين لعدة تيارات و نزعات فلسفية مختلفة كان من أهمها : إسهامات فلسفة اللغة بزعامة فتغنشتاين الذي كان له الأثر البالغ على تحولات الفلسفة المعاصرة .
2. يتضح هذا المقتضى التصوري عندما نلفيه ينظر لنظريته المعروفة بالألعاب اللغوية (jeux de language) التي اهتمت بالبعد الإستعمالي للغة
3. لقد أسس جون أوستين نظرية الأفعال الكلامية التي تعتبر أهم نظرية تشكل الجهاز المفاهيمي التداولي ، بناءا على تقفي و بلورة معالم نظرية الألعاب اللغوية.
4. في هذا الملمح لا يمكن أن نتغاضى عن إسهامات شارل موريس باعتبارها جذورا فكرية حقيقية مهدت لظهور النزعة التداولية وطابعها الإستعمالي / الاجتماعي
5. كما لا يمكن غض الطرف عن إسهامات شارل ساندز بيرس حيث أمدت التداولية بعدة أبعاد كان من أهمها البعد المنفعي (الذرائعي) الذي أضحى بمثابة أحد المعالم المهمة التي تشد كيان الدرس التداولي المعاصر.

الهوامش:

[1] الرموز المركبة : هي كل رمز لا يدل على شيء جزئي ، بل يدل على الدلالات العامة التي لا تنطوي على اللغة ، و بالتالي يحصل تفشي نوع من الغموض حول القضايا الفلسفية و اللغوية ينظر: ممران رشوان ، دراسات في فلسفة اللغة ، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، الفاهرة 1998 ، ص: 37.

([2]) ينظر: المرجع نفسه، ص: 36-37.

([3]) ينظر: المرجع نفسه، ص 23 وما بعدها.

([4]) ينظر: المرجع نفسه، ص 28.

([5]) ينظر: فهي زيدان في فلسفة اللّغة، دار النهضة العربية، بيروت 1985. ص: ص44/45.

[6] حافظ إسماعيلي علوي ، التداوليات علم إستعمال اللغة ، عالم الكتب الحديث ،الطبعة الأولى 2011 ، ص : 35

[7] برتراند راسل B.Russell (1872-1970) فيلسوف من فلاسفة الفلسفة التحليلية ، لم يكن فيلسوفا فحسب بل كان رياضيا ، منطقيا و سياسيا و أديبا و رجل تربية و إصلاح ، ثار على الفلسفة المثالية مستخدما المنهج التحليلي الجديد ، تتمثل مساهمته الأساسية في محاولته الجمع بين المنهج التجريبي و العقلي من جهة و كذا محاولته تزويد الفلسفة بالمنهج العلمي ، من كتبه أصول الرياضيات و "برنكيبا ماتياتيكا " ينظر: ممران رشوان ، دراسات في فلسفة اللغة ، ص : 32 وما بعدها .

[8] جورج إدوارد مور G.E.Moore : فيلسوف إنجليزي (1873-1958) ، كان صديقا لراسل و فتغنشتاين ، و شارك في تأسيس الحركة التحليلية إضافة إلى دوره الكبير في تجديد الواقعية في بلده إنجلترا ، لكنه كان يرزح تحت وطأة المثالية الهيجيلية الجديدة ، له عدة أعمال فلسفية مهمة مثل : دفاع عن الحس المشترك و مبادئ الأخلاق .ينظر المرجع نفسه ، ص 28 و ما بعدها

[9] لودفيج فتغنشتاين L.Wittgenstein:منطقي نمساوي تحصل على الجنسية البريطانية (1889-1951) ،أستاذ الفلسفة في جامعة كامبريدج ، بحث في أسس الرياضيات ، و بداية من 1903 إتجه إلى دراسة اللغات الطبيعية ، وضع نظرية ألعاب اللغة . ينظر الجيلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، (د،ت)ص:20-21.

([10]) فان ديك، النص السّياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا، بيروت، سنة 2000، ص 255.

([11]) ينظر: المرجع السابق، ص 140.

[12] حاول فتغنشتاين وزميله راسل إقامة لغة رمزيّة تتجنب كلّ عيوب اللغة العادية، بحيث يكون كل اسم دالا على مسمى معين، وتعنى هذه اللغة أيضا بدراسة التركيب الصحيح لمفردات اللغة بوضع قواعد هذا التركيب، كما تدرس قواعد الاستبدال من صورة من الجمل إلى ما ينجر عنها من صور أخرى، ينظر محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت 1985، ص 43.

[13] النظرية الذرية المنطقية: نظرية ميتافيزيقية تجريبية، تحاول الإجابة على مجموعة من الأسئلة مثل: ممّا يتألف العالم وما أنواع الموجودات فيه؟ وما أنواع القضايا التي تعتبر عنه هذه الموجودات...؟ وما العلاقة بين اللغة والواقع...؟ المرجع نفسه، ص31.

([14]) ينظر: المرجع نفسه، ص 43.

([15]) ينظر: المرجع نفسه، ص 46.

([16]) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللساني العربي، دار الطليعة والنشر، بيروت الطبعة الأولى، تموز يوليو 2005، ص 22.

([17]) ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع مخالفة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الطبعة الأولى، الجزائر 2009، ص 50.

[18] يؤثر الكثير من الباحثين استخدام عبارة فتغنشاين الأولى والثاني التفريق بين مشروعه الأول والثاني، فإذا كان فتغنشتاين الأول يختصر مهمة الفيلسوف في التوضيح المنطقي للأفكار، أو التحليل المنطقي للقضايا ويقسّم القضايا إلى نوعين: القضايا التي لا تصور الواقع مثل قضايا الرياضيات والمنطق (تحصل حامل)، والقضايا التي تصور الواقع وهي قضايا الحياة اليومية وقضايا العلوم الطبيعية بالإضافة إلى حصره وظيفة الفيلسوف في تحليل هذين النوعين من القضايا، فقضايا الحياة اليومية وقضايا العلماء مركبة يجب أن تنحل إلى قضايا بسيطة، وأبسط القضايا ما يصور الواقع تصويراً دقيقا؛ فإنّ الثاني رفض هذه المهمة واستبدلها إلى مهمة جديدة تكمن في المعالجة النسبية Thérapies، وذلك بإعادة الفلاسفة إلى اللغة العادية، وتركهم أي محاولة لإقامة لغة مثالية أو استخدام مصطلحات اخترعها الفلاسفة. ينظر: دلاش الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 18 وما بعدها.

([19]) ينظر: فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط (المغرب)، 1986، ص: ص22/23.

([20]) الزواوي نغورة: الفلسفة واللغة: نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 2005، ص 103.

([21]) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 52.

([22]) المرجع نفسه، ص 51.

([23]) ينظر: محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللّغة، ص 57.

([24])الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللّسانيات التداولية، ص: ص 21/20.

([25]) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 52.

([26]) الزاوي بغورة: الفلسفة واللّغة، ص 104.

([27]) المرجع نفسه، ص 104.

([28]) ينظر: المرجع السّابق، ص 104.
([29]) ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 56.
[30]الأمر الذي لا مناص من ذكره في هذا المقام أنّ اللّساني فرديناند دي سوسير هو مبتدع مصطلح Semiotics، وهو علم يدرس حياة العلامات في صلب الحياة الاجتماعية، والمراد هو دراسة كل أنظمة التواصل دون الاقتصار على نظام التواصل اللغوي، ومن الأنظمة العلاماتية نجد الخط وأبجدية الصم والبكم والطقوس الرمزية وعلامات التأدب والإشارات العسكرية.
للتفصيل ينظر: أحمد الوردني، قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن 7هـ/13م، دار الغرب الإسلامي، المجلد الثاني، الطبعة الأولى 2004، بيروت، ص 74.
([31])ينظر : واضح أحمد ، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي ، من القرن 3هـ إلى القرن 7هـ ، مخطوط دكتوراه ،جامعة وهران ، 2012 ، ص:81
([32]) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندرية، 2002، ص 09.
([33]) ينظر: هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل المعنى، ترجمة محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999، ص 100.
([34]) محمود أحمد نبلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 09.
([35]) ينظر: خليفة بوجادي، في اللّسانيات التداوليّة، ص 56.
([36]) ينظر: نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، الطبعة الأولى 2009، الجزائر، سطيف، ص 23.
([37]) خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداولية، ص 56.
([38]) ينظر: نواري سعودي أبو زيد، في تداوليّة الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، ص 24.
([39]) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 57.
([40])ينظر : واضح أحمد ، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي ، من القرن 3هـ إلى القرن 7هـ ، مخطوط دكتوراه ، جامعة وهران ، 2012 ، ص:84
([41]) المرجع نفسه ،ص:84
([42]) نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 198.
([43]) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 09.
([44]) ينظر المرجع نفسه، ص 41.
([45]) ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 5/4.
([46]) ينظر: ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل النقاد الأدبي، إضافة لأكثر من خمسين تياراً ومصطلحاً نقديا معاصراً، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية 2000، الدار البيضاء، ص 102.

المصادر و المراجع

1. فهمي زيدان في فلسفة اللّغة، دار النهضة العربية، بيروت 1985.
2. فان ديك، النص السّباق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا، بيروت، سنة 2000.
3. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللساني العربي، دار الطليعة والنشر، بيروت الطبعة الأولى، تموز يوليو 2005.

4. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع مخالفة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الطبعة الأولى، الجزائر 2009.

5. دلاش الجيلالي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ديوان المطبوعات الجامعية

6. فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط (المغرب)، 1986.

7. الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة: نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت (دت).

8. أحمد الوردني، قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن 7هـ/13م، دار الغرب الإسلامي، المجلد الثاني، الطبعة الأولى 2004، بيروت.

9. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندرية، 2002.

10. هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل المعنى، ترجمة محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999.

11. نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، الطبعة الأولى ، الجزائر، سطيف،2009.

12. نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة ، منشورات جامعة باجي مختار ، عنابة ، 2006

13. ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل النقاد الأدبي، إضافة لأكثر من خمسين تياراً ومصطلحاً نقديا معاصراً، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية 2000، الدار البيضاء.

14. واضح أحمد ، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي ، من القرن 3هـ إلى القرن 7هـ ، مخطوط دكتوراه ، جامعة وهران ، 2012 ،

15. حافظ إسماعيلي علوي ، التداوليات علم إستعمال اللغة ، عالم الكتب الحديث ،الطبعة الأولى 2011